الفصل الرابع

الهدي القرآني في التربية

لا شك في أن التربية القرآنية هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول الذي نزل عليه القرآن منجمًا، يغرس فيهم أصول العقائد، ويُعمق فيهم المعاني الإيمانية الشريفة، ويثبتهم على الإيمان، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون الآيات القرآنية بالإيمان والتصديق، ويصدرون عنها بالعمل والاستجابة والطاعة، فترقى بهم القرآن إلى أعلى درجات اليقين والصدق والإخلاص والبذل والتضحية والثبات، وظهرت فيهم المواقف الإيمانية والأحوال الشريفة التي تصدق ما في قلوبهم من إيمان وتصديق بالقرآن، وكان أمام الصحابة رضي الله عنهم التطبيق العملي للقرآن وهو النبي عليه الصلاة والسلام، فقد كان صلى الله عليه وسلم قرآنًا يمشي على الأرض، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن»[1].

وهذه أمثلة للتربية القرآنية:

١- القرآن يربي في قلوب الناس عقيدة التوحيد:

قال الأستاذ/ محمد شديد: «وقد كانت البشرية قبل القرآن متردية في حمأة الوثنية والشرك، بين عبادة الأصنام بشتى الصور والأشكال، وبين دعوى البنوة لله تعالى التي كانت عند العرب في صورة بنوة الملائكة لله، وعند مُشركي اليهود في صورة بنوة عزير لله وعند مشركي النصارى في صورة بنوة عيسى لله، فجاء بها القرآن ناصعة واضحة جلية، ليس فيها لَبس ولا غموض، ولا تجنح إلى الأحاجي والألغاز، ولا تصطدم بمنطق أو تفكير، ولا تحير العقول والأفهام، ولم يلجأ القرآن قط في إقامة الدليل عليها إلى أقضية المنطق الجافة ولا إلى الإقناع الذهني المجرد، إنما جاء بالأدلة السهلة الواضحة، التي

---

(١) تقدم تخريجه.

تخاطب العقل والقلب، وتثير التفكير والوجدان، قوية ناصعة لا تدع سبيلًا إلى جدل ولا مراء، فقرر الحقيقة أولًا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، ثم أقام الدليل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ۝٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١-٢٢].

وفي موطن الرد على مشركي النصارى الذين اختلط عليهم الأمر من قبل ولادة عيسى، ذكر القرآن قصة مولده، ثم أبان أنه إذا كان ولد بغير أب فقد خلق آدم من تراب بغير أبٍ ولا أم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ثم وجه إلى عدم المماراة والجدل، وسلك في سبيل الإقناع أسلوبًا يستثير عوامل الخير، ويخاطب كوامن الإيمان في النفس.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

٢- القرآن يربي في قلوب العباد ملكة المراقبة والتقوى:

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٨-١٠].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله - عَزَّ وَجَلَّ - عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله - عَزَّ وَجَلَّ - للخلق كلهم، ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد والنصرة، والتسديد كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى لهارون وموسى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى.

والمعية الثانية الخاصة: تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره.

٣- القرآن يربي المسلم على أن تكون علاقته مباشرة مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا يحتاج إلى وسائط ولا شفعاء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

فمن أراد أن يتوب ويرجع إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يحتاج أن يذهب إلى كاهن، أو ذي سلطان ديني حتى يرفع توبته، ولا يحتاج إلى شفعاء يشفعون له عند الله - عَزَّ

وَجَلَّ - ومن أراد أن يسأل شيئًا فعليه أن يرفع حاجته إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - مباشرة دون الرجوع إلى أحد من مخلوقاته كما قال النبي ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(١).

٤- القرآن يربي المسلم على التفكير فيما يقع تحت حواسه من أحداث وآيات ليستدل بها على وجود الله - عَزّ وَجَلّ - وقدرته وعظمته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾

[الواقعة: ٧١-٧٢]

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الذاريات: ٢٠-٢١]

فالقرآن يربي المسلم على التدبر والتفكر في مخلوقات الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وفيما يقع أمامه من أحداث، ليستدل بها على عظمة الله وقوته، فيزداد إيمانًا بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ووحدانيته.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

٥- القرآن يربي المؤمن على الثقة بنصر الله - عَزّ وَجَلّ - واليقين بوعده: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٢٢]، و قَالَ تَعَالَى:

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

كما يبين القرآن من الذين يستحقون نصر الله فقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فالذين يستحقون نصر الله هم الذين نصروا الله بتحليل حلاله وتحريم حرامه، والإخلاص في الدعوة إلى دينه، وبذل الغالي والرخيص لإعزاز دينه، الذين يستحقون نصر الله هم الذين يحبهم الله ويحبونه، ويجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

الذين يستحقون نصر الله هم الذين باعوا أنفسهم لله - عَزَّ وَجَلَّ - يطلبون رضى الله وجنته.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

٦- القرآن يربي المؤمن على الاستعداد للقاء الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأن كل أحد من البشر له أجل محدود، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون:

قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

ولما قال المنافقون بعد غزوة أُحد: لو أطاعنا المؤمنون وتخلفوا معنا ما ماتوا وما قتلوا، بَيَّنَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن المقولة كافرة لأن فيها إنكارًا لحقيقة الأجل الذي حدده الله - عَزَّ وَجَلَّ - لكل واحد.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وبين الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن الذين يقتلون في سبيل الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يجوز أن يطلق عليهم أنهم أموات، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فقد انتقلوا من حياة إلى حياة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

٧- القرآن يربي المؤمن على معرفة الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله - عَزّ وَجَلّ - والهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه وهو رضا الله - عَزّ وَجَلّ - وابتغاء وجهه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

ويبين للمسلم أن نية العبادة والطاعة ينبغي أن تصاحب المسلم في كل قول أو فعل أو حركة أو سكون.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فكما يصلي لله - عَزَّ وَجَلَّ - ويذبح لله - عَزَّ وَجَلَّ - فهو يأكل ليتقوى على طاعة الله، وينام يحتسب نومه عند الله، لأنه أيضًا يستعين به على طاعة الله، ويتزوج ليستعين بذلك ويتقوى على طاعة الله، فهو في كل أحواله عبد مطيع لله - عَزَّ وَجَلَّ -، لا يحل بحال أن ينسلخ عن العبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ -، وكل من ينسلخ عن العبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يقع في عبودية غير الله من الأحجار، والأشجار، والهوى والمال، والنساء، والطواغيت، فكلما اكتملت عبودية المسلم لله - عَزَّ وَجَلَّ - تحرر من عبودية غير الله وكلما نقصت عبوديته لله وقع في عبادة غيره، ولذلك كانت وظيفة الرسل وأتباعهم تعبيد الناس لله - عَزَّ وَجَلَّ - وتحريرهم من عبادة غير الله، فكل رسول قال لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره»، وهذا ربعي بن عامر تلميذ رسول الله ﷺ يقول لرستم قائد الروم: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العِباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

كما يربي القرآن المؤمن على معرفة الهدف الذي يهدف إليه وهو الوصول إلى رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والفوز بجنته، والنظر إلى وجهه وهو أعلى نعيم أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

٨- القرآن يربي المسلم على أن التفاضل بين الناس ليس بالحسب ولا بالنسب ولا بالمال ولا بالشهرة وإنما هو بتقوى الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كان أبو لهب عم النبي ﷺ قرشيًّا هاشميًّا وحكم عليه القرآن بالنار وهو يمشي على الأرض فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥].

وكان سلمان فارسيًا لم يكن عربيًا فضلًا عن أن يكون قرشيًا وارتفع بتقوى الله - عَزَّ وَجَلَّ - واتباع رسوله ﷺ وقد قال بعضهم:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وكان سلمان رضي الله عنه يقول:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

٩- القرآن يُربي المسلم على الآداب الإسلامية المباركة كآداب بر الوالدين وآداب النظر، وآداب الاستئذان وآداب الحكم:

قَالَ تَعَالَىٰ في آداب بر الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

و قَالَ تَعَالَىٰ في آداب النظر: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠-٣١].

و قَالَ تَعَالَىٰ في آداب الاستئذان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

و قَالَ تَعَالَىٰ في آداب الحكم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

١٠- القرآن يُربي المؤمن على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والبذل لإعزاز دين الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد: ٢٠]

فمهما زهد العبد في الدنيا وعرف حقارتها، وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ - والفوز بجنته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

وقد كانت مواقف الصحابة رضي الله عنهم في البذل والتضحية على أعلى مستوى من الجلالة والعظمة، لارتفاع رتبتهم في الزهد في الدنيا واليقين بالآخرة، والصدق مع الله - عَزَّ وَجَلَّ -.

١١- القرآن يُربي في المسلم العواطف الربانية الوجدانية:

يقول الأستاذ/ عبد الرحمن النحلاوي ما ملخصه: «يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية:

(أ) كعاطفة الخوف من الله التي أمر الله بها ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ومدح عباده الذين يخافونه ووعدهم بالثواب العظيم ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] بل أمرنا أن ندعوه خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

وعلى تربية هذه العاطفة الربانية بنيت بعض العبادات كالصوم، وتحريم الصيد في الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ [المائدة: ٩٤].

كما بني كثير من المعاملات الإسلامية عليها كالنصح في البيع والشراء، ورعاية اليتيم، وحسن معاملة الزوجة، والعدل بين الأولاد، فكل من خاف ربه كان إنسانًا فاضلًا عادلًا في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستحِ من ربه يفعل ما يشاء لا ضابط ولا وازع، له قلب كالحجارة أو أشد قسوة.

(ب) **الخشوع**: معناه التذلل والخضوع والشعور بالانقياد والعبودية لله، وهو ثمرة الخوف.

وقد ورد الحض على الخشوع عند ذكر الله وقراءة القرآن في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

(جـ) **المحبة**: فطر الإنسان منذ طفولته على الميل إلى أن يحب ويكون محبوبًا، وقد ورد الحب في القرآن في عدة آيات والحب في الأصل - كما هو معروف بين الناس تعلق المحب بالمحبوب وتتبع آثاره ودوام تذكره وحضور القلب معه وعمل ما يرضيه ويحقق سروره.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن كثير: ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجئون إليه في جميع أمورهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل الله اتباع رسوله الذي يبلغ أوامره من شروط محبته.

كما وصف الله الذين يحبهم الله ويحبونه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وإذا تتبعنا حياة الرسول ﷺ وأصحابه نرى أن محبة الله من أهم الدوافع التي تجعل الإنسان حريصًا على تحقيق شريعة الله في سلوكه وحياته، دون أن يكون عليه رقيب من البشر، وأن من أهم العوامل التي تؤدي إلى محبة الله الشعور بفضله، والتعرف إلى نعمه، وإلى ما أعد للمتقين في جنات النعيم، وطول مناجاته، وقراءة كلامه، وتأمل آثار رحمته... الخ.

(د) **الرجاء**: وهو الطمع في رحمة الله، والأمل في ثوابه وجزيل الأجر عنده، وقد كان هذا الرجاء دافعًا إلى الجهاد وطلب الموت في سبيل الله، فكان الصحابي والمجاهد يقول: بخ بخ هل بيني وبين الجنة إلا أن أقاتل فأُقتل في سبيل الله؟ ويهجم على الأعداء حتى يستشهد، وغرس هذا الرجاء في نفوس الناشئة ينبني على الإيمان بالله واليوم الآخر، وعلى الإكثار من وصف الجنة ونعيمها، وربطها بضرورة التقيد بأوامر الله، وترك نواهيه، وبالجهاد وإعلاء كلمة الله[1].

وختم حفظه الله **بحثه بما ملخصه**: «تعتمد التربية بالترغيب والترهيب على ضبط الانفعالات والعواطف والموازنة بينها.

فلا يجوز أن يطغى الخوف على الأمن والرجاء فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته، وقد نهى الله عن هذا اليأس، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]».

كذلك لا ينبغي أن يطغى الفرح بزوال الشدة وقوتها، مما يدعوه إلى العودة إلى المعاصي.

---

(١) «أصول التربية الإسلامية وأساليبها» باختصار [٢٥٩-٢٦٢].

بل ينبغي أن يجمع الإنسان بين الخوف من عقاب الله وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور والرجاء في رحمة الله، فلا يأس من عفوه وكل من اليأس والغرور يؤدي إذا تمادى بصاحبه إلى الكفر أو الفسوق والطغيان، كما يفهم من الآيات السابقة.

ومن قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ولو استجمع الإنسان في ذهنه صفة من صفات الكمال الإلهي وما يقابلها من تلك الصفات لما وقع في شيء من التناقض أو الإفراط والتفريط في جنب الله، فاستشعار غضب الله يجب أن لا ينسينا رحمته، وإرادته المطلقة ينبغي ألا تنسينا حكمته وهكذا..[1]

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

١٢- القرآن يربي المؤمن على المحبة الشديدة لله - عَزَّ وَجَلَّ - التي تدفعه للبذل في سبيل الله وألا يعز شيئًا على الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وحب المؤمن لله - عَزَّ وَجَلَّ - يجعله يبذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، لله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا يعز شيئًا على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولو كانت روحه التي بين جنبيه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وإنما كان ذلك كذلك حتى يكون البذل والتضحية لإعلاء راية الله وإعزاز دينه، فإن شجرة الإسلام لا تروى بالماء وإنما تروى بالدماء.

---

(١) السابق [٢٦٣-٢٦٤].